"الشبهات المعاصرة وأثرها على العقيدة الإسلامية"

إعداد

د/ فهود سعد عبدالعزيز أبوملحه

دكتوراه عقيدة ومذاهب معاصرة، قسم العقيدة
والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة وأصول الدين،
جامعة الملك خالد ،أبها،
المملكة العربية السعودية

الشبهات المعاصرة وأثرها على العقيدة الإسلامية

عهود سعد عبد العزيز أبو ملحه
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد، أبها، المملكة العربية السعودية.
البريد الالكتروني: olowalhimah@outlook.com

الملخص:
هدف البحث توضيح الشبهات ومصادرها، والتطرق إلى خطورتها وانعكاساتها على العقيدة الإسلامية، لتحقيق أهداف البحث تم اعتماد المنهجي الوصفي القائم على مراجعة الأدلة والدراسات السابقة والأدب النظري السابق ذو العلاقة في المجال الحالي.
وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية منذ الأيام الأولى للإسلام، في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، استخدم معارضو الإسلام سلاح الشك القديم. واكتشف الأعداء أثره في العصر الحديث، وانتهزوا الفرصة لتوظيفه، وبذلوا كل ما في وسعهم لفرضه على عامة المسلمين. لقد انخرط معارضو الإسلام منذ فترة طويلة في حملة ضخمة ومنسقة لتخريب الفلسفة الإسلامية، وخططوا لتحقيق أهدافهم من خلال استخدام مجموعة واسعة من المفاهيم، بما في ذلك المفاهيم السياسية والعسكرية والفكرية. إن إحياء ومساعدة الطوائف الإسلامية المتطرفة مثل القاديانيين والبهائيين والإسماعيليين وغيرهم ممن يسعون إلى استئصال الإسلام من الداخل يشكل إحدى الاستراتيجيات التي يستخدمها أعداء الإسلام. إن الأكاذيب التي يروجها خصوم الإسلام تهدف إلى تقويض التعاليم والثوابت الدينية، وفي الوقت نفسه تشويه الإسلام وجعل المسلمين يشككون فيه.
وأبرز توصيات البحث: يتوجب علينا اتباع الوسائل الوقائية للشبهات وعدم التعرض لها المحدودية علمنا ومعرفتنا الشرعية، لكن هذا لا يمنعنا من قراءة كتب الردود على الشبهات ومعرفة كيفية إقامة الحجة على الخصم بالأدلة والبراهين الشرعية. إن الأكاذيب التي يروجها خصوم الإسلام تهدف إلى تقويض التعاليم والثوابت الدينية، وفي الوقت نفسه تشويه الإسلام وجعل المسلمين يشككون فيه. ولذا يوصى بزيادة التحصين الديني، والحرص على التعلم وزيادة الوعي الديني، والاهتمام بالتربية الحسنة.

الكلمات المفتاحية: الشبهات المعاصرة، العقيدة الإسلامية، التحصين الديني، التعاليم، الثوابت الدينية.

Contemporary Doubts and Their Impact on Islamic Faith

Ohood Saad Abdulaziz Abu Malhah
Department of Creed and Contemporary Doctrines, College of Sharia and Theology, abhaa, King Khalid University, Saudi Arabia
E-mail: olowalhimah@outlook.com

Abstract:
This research aims to clarify contemporary doubts, their sources, dangers, and their impact on the Islamic faith. The study follows a descriptive approach, reviewing evidence, literature reviews, and theoretical literature related to the subject.

Key Findings: Since the early days of Islam, opponents have used skepticism as a weapon against the faith. This strategy has intensified in the modern era, utilizing political, military, and intellectual means to undermine Islamic beliefs. Anti-Islamic efforts have included supporting extremist sects (such as Qadianis, Baha'is, and Ismailis) to weaken Islam from within. Misinformation and distortions are deliberately spread to make Muslims question their faith and destabilize fundamental Islamic principles.

Recommendations: Avoiding unnecessary exposure to doubts due to limited religious knowledge, but simultaneously studying refutations of misconceptions to strengthen argumentative and evidential skills. Enhancing religious immunity through education, awareness, and strong moral upbringing. Fostering intellectual resilience by providing accurate Islamic knowledge to counteract contemporary ideological challenges.

Keywords: Contemporary Doubts, Islamic Faith, Religious Immunity, Islamic Principles, Misconceptions in Islam.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَن يَهْدِهِ الله فهو المهتدي ومَن يُضْلِل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن سيِّدنا محمَّدًا عبده ورسوله، أما بعد...

قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ (١).

وقال كذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾(٢).

لقد جعل الله تعالى هذه الأمَّة أعظم البلاد وأطهرها وأوسطها؛ إذ قوَّمها بإرسال خيرِ الرسل، وأحسنِ الأدب، وأدقِّ الرسالة، وأكملِ التشريع، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ...﴾(٣)، ولكن لم تنجُ الأمَّة الإسلامية من عداء الحاقدين وخداع الماكرين في أيِّ لحظة من تقدُّمها المتواصل، لكنها –بفضل هذا الموقف– استطاعت أن تقود العالم وتحكمه قرونًا.

إن لمحةً من هذا السُّمِّ الكامن في ثنايا هذه الهجمة القوية واضحة لكلِّ من يَرى هذا الهجوم الخبيث على عقائد المسلمين وشريعتهم. لقد شهدنا الإسلام ينتشر رغم فشل المسلمين في ترويجه ونشره، وشهدنا الإسلام يفرض نفسه على الأحداث لأعداءٍ يفهمون أن الإسلام –كدينٍ– يحمل في

(١) سورة البقرة: ١٢٠.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٣) سورة البقرة: ١٤٣.

داخله أسباب البقاء وله وسائل التأثير والتغيير التي لا توجد في الديانات الأخرى.

ولهذا لجأوا إلى أساليب خبيثة تؤدي إلى انحراف المسلمين عن دينهم أو إثارة الشكوك في قلوبهم. تتضمن هذه الأساليب خلق الشكوك حول نبيِّ الإسلام ومصادره وقيمه الأساسية وتعاليمه، وحتى لو كره الكافرون هذا الحديث فإن الله يُتِمُّ نورَهُ رغم رغبتهم في إطفاء نور الله بألسنتهم.

وخلاصة القول: لقد هدفتُ إلى توضيح تعريف الشبهات ومصادرها قبل التطرُّق إلى خطورتها وانعكاساتها على العقيدة الإسلامية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في ضرورة حرص المسلمين على التحقيق في هذه الشبهات وتبديدها؛ لأن سلاح الشك –وإن كان قديمًا– إلا أن الأعداء ما زالوا يستخدمونه لتخريب الفكر الإسلامي وتقويض مبادئه وقيمه، ومن هنا أهمية البحث؛ لأنه يساعد على كشف جهود الذين يريدون مناهضة الإسلام.

ومن هنا يتجلَّى غرض الدراسة، وهو توضيح موجز حول الشبهات ومدى تأثيرها على العقيدة الإسلامية، وبيان أسباب اهتمام الإسلام والمسلمين بها، ومحاولة توعية المجتمعات الإسلامية بالمخاطر الفكرية التي تواجهها. واستخدمت الدراسة المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي للوصول إلى بعض الاستنتاجات، أحدُها أن الدعوة الإسلامية ظلت تواجه باستمرار هجمات خصومها عبر تاريخها، كما يتضح على مرِّ الزمن، لكنَّ الإسلام دينٌ يحتوي على بذور الثبات في مواجهة الشدائد والمصاعب.



أولاً: مفهوم الشبهات

الشبهة لغةً:

الشُّبهة: مأخوذة من مادة "شبه"(١) التي تعني التشابه في أجزاء الشيء دون الأجزاء الأخرى؛ ولذا يقال: تَشَابَهَ الشيئانِ، بمعنى أنهما لا يتطابقان في كل شيء، وفي التنزيل يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾(٢)، ويقول ﷻ: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ ﴾(٣)، أي: يشبه بعضُهُ بعضًا في الجودة والِحسِّ والمنظر والصورة ويختلف في الطعم، وهذا يعني عدم التطابق في كل شيء(٤).

كما تأتي "الشُّبهة" بمعنى الالتباس، فإن الأمور المشتبهة يُقصد بها الأمور الملتبسة، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾ (٥).(٦).

﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ أي: يحتمل ما تدلُّ عليه موافقة للمُحْكَم، ويمكن أن تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب، وليس من حيث المقصود. وفي الحديث عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كان يقول: «إنَّ اللَّبنَ يُشْبَهُ عليهِ»(٧).

وتأتي لفظة "الشُّبهة" بمعنى المشكِل، فيقال: المشتبهات من الأمور، أي: المشكلات.

(١) ابن منظور، لسان العرب، (٥٠٣/١٣).
(٢) سورة الأنعام: ٩٩.
(٣) سورة البقرة: ٢٥.
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦٤/١٠).
(٥) سورة آل عمران: ٧.
(٦) ابن منظور، لسان العرب، (٥٥/١٣).
(٧) أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الرضاع، باب ما ورد في اللبن يشبه عليه، ج٧، برقم ١٥٤٥٧، ١٤١٤هـ، ص٤٦٤.

وفي الحديث عن حذيفة بن اليمان ﵁ أن رسول الله ﷺ قال عن الفتنة: «تُشْبَهُ مُقْبِلَةً وتُتبيَّنُ مُدْبِرةً»[(١)].

والمقصود أن الفتنة إذا أقبلت شُبِهَتْ على القوم، وجعلتهم يروا أنهم على حقٍّ حتى يدخلوا فيها، فإذا انتهت وانقضت بَانَ أمرُها، فعلمَ مَن دخل فيها أنه كان على الخطأ.

وتأتي "الشُّبهة" ويُقصد بها الاختلاط وعدم الوضوح، فيقال: خُلِط عليه الأمر إذا اشتبه بغيره[(٢)].

الشبهة اصطلاحًا:

ويُستنتج مما سبق ذكره عن الشُّبهة في اللغة أنها يُقصد بها الأمر المختلِف والمشكِل الذي لا يتضح ولا يُعرف مقصودُهُ على وجه التحديد مما يثير الالتباس والشك والريب[(٣)].

ومن هنا يمكن القول بأنَّ الشُّبهة في الاصطلاح هي "الأمر الملتبِس الذي لا يُعرَف كونُهُ حقًّا أم باطلًا، حلالًا أم حرامًا.

كما عُرِّفت "الشُّبهة" بالعديد من التعريفات، ومنها:

١. أنها "كلُّ تصوُّرٍ من شأنهِ أن يمنع صاحبه من القناعة التامة بأمرٍ ما؛ لعدمِ وضوح ذلك الأمر عنده، بقطع النظر عن صدق هذا التصور أو خطئه"[(٤)].

---

(١) محمد الرازي، مختار الصحاح، ص١٣٨ ، وتمامه عن حذيفة قال: (إياك والفتن لا يشخص لها أحد فوالله ما شخص منها أحد إلا نسفته كما ينسف السيل الدمن، إنها مشبهة مقبلة حتى يقول الجاهل هذه تشبه مقبلة وتتبين مدبرة، فإذا رأيتموها فاجتمعوا في بيوتكم واكسروا سيوفكم وقطعوا أوتاركم وغطوا وجوهكم) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٤٩٥.

(٢) محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، (٤ / ٤٩٥).

(٣) لسان العرب، (١٣/٥٠٤).

(٤) محمد نبيل غنايم، شبهات حول التشريع الإسلامي، أضواء الشريعة، الرياض ، ١٤٠٣ ، ج٤ ، ص٢٨١

٢. هي "أمرٌ ما يدعو للشك والريبة في تصديق صاحب الحق وصحة ما يدعو إليه، فيَحُولُ ذلك عن معرفة الحق والاستجابة له، أو أن تتأخر هذه الاستجابة، وعلى الأغلب نجد أن الشبهات تتعلق بعادة موروثة،، أو رئاسة دنيوية، أو مصلحة قائمة، أو حميَّة جاهلية فتؤثِّر الشبهات بسبب هذه الأمور في النفوس الضعيفة التي تتصل بهذه الأشياء وترتبط بها وتظنُّها دليلًا وحُجَّةً تدفع به الحقَّ"[١].

وبصرف النظر عن التعريف المذكور أعلاه، يمكن أن يكون الدافع أيضًا عدائيًّا تمامًا، كما يتضح من أعداء الإسلام، الذين يبذلون جهودًا متضافرة لتدمير الحقيقة واستبدالها بالأكاذيب؛ ونتيجةً لذلك: فإنهم ملتزمون التزامًا راسخًا بإعلاء الحقيقة، ويدركون تمامًا شرعيَّتها، ويُعزِّزون الحقيقة بقوة وقناعة. إنهم يعملون لتحقيق أغراض معيَّنة، والتي تصبح في نهاية المطاف واضحةً للأفراد الذين يسعون في طريق الشبهات.

ولا ينبغي لصاحب الشبهة أن يكتفي بأن يسمِّيها بالشبهات؛ لأن ذلك سيحوِّلها إلى كذب وافتراء ما دام يعرف الحقائق، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[٢]، وإنما يَصْدُق معنى الشُّبهات على من لم يعرف الحقيقة من المستهدَفين سواء كانوا مسلمين أو غيرهم.

---

(١) محمد نبيل غنايم، شبهات حول التشريع الإسلامي، أضواء الشريعة، ص١٨٢.

(٢) سورة البقرة: ١٤٦.

ثانياً: نشأة الشبهات

تمرُّ الأمَّة الإسلامية اليوم بعاصفة جارفة وطوفان هائل من الشبهات والتشكيكات حول الدين الإسلامي، فلقد تداعت عليها الأمم -كما أخبر النبيُّ ﷺ- من كلِّ جانبٍ، من أديانٍ باطلةٍ ومذاهبَ منحرفةٍ وفرقٍ مُبتدِعةٍ، كلُّها تُصوِّب السِّهامَ نحو الدين الإسلامي، ولا يكاد يَسْلَم من هذا الطوفان أصلٌ من أصول الدين الإسلامي ولا معتقَدٌ من معتقدات أهل السُّنَّة والجماعة.

"فالشبهات المعاصرة أشبَهُ بالطوفان الكاسح الذي لا يفرِّق بين الصغير والكبير والرجل والمرأة والمتعلِّم والعامي، ويصل إلى الناس في عقر بيوتهم وفي حجرات نومِهم، وتكفي ضغطة زرٍّ يسيرة لأن تقذف بالشاب أو الفتاة في بحرٍ متلاطم من الأفكار والمذاهب والشبهات"[١].

وأمام هذا الطوفان الهائل افترق الناس في التعامل مع هذه الشبهات، وطفا في الساحة تساؤلٌ مهمٌّ، وهو: كيف كان منهج السلف وأئمة الدين في التعامل مع الشبهات؟ وكيف واجهوها؟

ليست الموجة الحالية هي الأولى في تاريخ إثارة الشبهات حول الدين الإسلامي، بل سبقتها موجات كثيرة من التشكيك والتلبيس، فلقد مرَّ الدين الإسلامي قبل ذلك بتجارب، وإن اختلفت في القوة ومدى التأثير ووسائل البَثِّ ومدى الانتشار ونوعية المستهدَفين بالشبهات، إلا أن الدين الإسلامي خرج من تلك الدسائس مصقولًا صافيًا كالذهب الإبريز، كلما اشتدَّت عليه سموم النيران صفا أكثر، ومع تصاعد الصَّدْع بالشبهات والتشكيكات يصعد الدين الإسلامي إلى أعلى المراتب، وينتصر على كل المذاهب بمن يسخِّره الله لنصرته من معتنقيه، بل ومن أعدائه أو من أصلاب أعدائه.

نعم، هذا هو الحال دومًا وفي كل زمان، والقصة تتكرر في كل وقت،

(١) أحمد قوشتي، قواعد وضوابط منهجية للردود العقدية، (١/ ١٥).

وإن تغيَّرت أسماء شخصياتها واختلفت وسائلهم، فالتاريخ يعيد نفسه –كما يقال–.

يقول ابن العربي المالكي: "خذوا منِّي في ذلك نصيحةً مشحونة بنكتٍ من الأدلة، وهي أن الله سبحانه ردَّ على الكفار على اختلاف أصنافهم، من ملحدةٍ وعبدةِ أوثانٍ وأهلِ كتابٍ وطبيعةٍ وصابئةٍ وشركيةٍ ويهوديةٍ بكلامه، وساقَ –أفضلَ سياقٍ– أدلَّتَهُ، وجاء بها في أحكم نظام، وأبدع ترتيب، فعلى ذلك فعَوِّلوا... فهو قد أنزل كتابه على نبيِّه نورًا مُحكَمًا، هُدًى تِبيانًا، لم يكن رموزًا ولا كنايةً عمَّا لا يتوصَّل به إليه سامعُهُ ولا يعلمه مخاطبُهُ، وأقام عشرة أعوام –أو ثلاثة عشر عامًا، أو خمسة عشر عامًا– يجادل بالحجة جميع الكفرة، بألفٍ من آيِ القرآن... فما بقي نوعٌ من الأدلة، ولا وجهٌ من وجوه الحُجج، إلا وجاء بها على أوضح منهج، وتناولت كلُّ حُجَّةٍ طائفةً من الملحدة وأصحاب الطبائع والصابئة بقدرها، واليهود والنصارى والزائغين بقسطها، على نحو ما قالت كلُّ طائفةٍ من الشرك، ولو شاء ربُّنا لكفَّهم عن هذه المقالات، وإذ أطلقها على ألسنتهم فقد نصَّ كيف تُنقَض أقوالهم، حسبما تقرَّر من الأدلة، ومن كيفية استعمالٍ في كتابه، وعلى لسان رسوله، وذلك كله بسابقةٍ من المشيئة ووجوهٍ من الحكمة".(١).

فإن الشبهات –وما تثيره الشبهات– لم تكن وليدة العصر الحديث، بل كانوا سلاحًا فتَّاكًا استخدمه الأعداء منذ زمن طويل، وفي كل فترة من الزمن. وكان لها تأثير فعَّال ودور كبير في التضليل والإغواء، وتغيير المفاهيم، وتخريب المعاني، وصرف الحقائق، والانحراف عن تحقيق المصالح، بالإضافة إلى الأخلاق المنكرة والرذائل المختلفة التي يزرعها ويخلقها الشك من خلال بثِّ الشبهة بين الناس، وما يخلِّفه من الأكاذيب والاحتيال والغدر والخيانة وغيرها من الرذائل الأخلاقية بعد انتهائها.

---

(١)عمار الطالبي ، العواصم من القواصم، (ص: ٨٠).

ومنذ صدر الإسلام ظلَّ الأعداء يزرعون الشبهة بعد الشبهة، مع علمهم بكذبها وصدقِ النبيِّ ﷺ، وهذا كله جزء من خطتهم للانحراف عن الطريق والإضرار بالرسول ﷺ، وما جاء به من الدلائل الواضحة والحجج المقنعة عن الله. ويستخدمون تقنيات مختلفة لإثارة الشكوك.

لقد ركَّزوا على نشر شكوكهم حول الأفكار التأسيسية للدين، وتنازعوا في الوحي وفي محتويات السُّنَّة والقرآن، وأكدوا أن القرآن قصة متوارثة عن الأجداد، وأنه من أساطير القدماء، وقد ورد هذا التأكيد عدة مرات في القرآن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾(٣)، ويُقصد بالأساطير الكذب والمين(٤)، وافتراء الأحاديث التي ليس لها حقيقة(٥).

حتى نالت شبهاتهم شخصَ الرسول ﷺ وما أُوحيَ إليه فاتَّهموه بالكذب والافتراء، كما قال الله ﷻ عنهم: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾(٦).

---

(١) سورة الأنفال: ٣١.

(٢) سورة الأنعام: ٢٥.

(٣) سورة النحل: ٢٤.

(٤) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص٤٢٦، المين: هي الكذب. وجمعها: ميون، لسان العرب، (١٣/٤٢٥).

(٥) الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص٢٣٧.

(٦) سورة يونس: ٣٨.

والافتراء هنا بمعنى الاختلاق[١]، أي: اختلقه محمد من تلقاء نفسه[٢]، واتهموه بالجنون والسحر والكهانة، وفي هذه التُّهم يقول الحق ﷻ: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤﴾[٤].

وقال ﷻ ردًّا على شبهة الكهانة والجنون: ﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ۝٢٩﴾[٥]، وسلكوا مسلك الأمم السابقة في الاعتراض الاعتراض على بشرية الرسل عليهم السلام، فأنكروا أن يأتي الوحي إليهم وقالوا مستكبرين: ﴿ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾[٦]،﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴾[٧].

واستمر عدم ثقة الخصوم إلى حدٍّ أنه أثَّر على العبادة والمعتقدات، واتهموا الجانب المؤمن برفض فكرة القيامة في الآخرة، ولن يقبلوا أن تكون هناك بعثات ومكافآت وعواقب متعددة، ثم الجنة والنار بعد هذه الحياة. كُنْ قويًّا في أيمانك، وساهرًا في أيمانك؛ لأنه لا قيامة بعد الموت، بل كان هذا من أكثر المواضيع الخلافية التي طرحها المشركون، قال تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾[٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا

---

(١) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن وجوه تأويل آي القرآن، (٩٥/١٤).
(٢) محمد الرازي، مختار الصحاح، (٢١٠/١).
(٣) سورة الحجر: ٦.
(٤) سورة ص: ٤.
(٥) سورة الطور: ٤.
(٦) سورة الإسراء: ٩٤.
(٧) سورة الأنبياء: ٣.
(٨) سورة النحل: ٣٨.

كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾(١).

وفي جانب العبادات أثار اليهود -الذين يُعَدُّون أول مَن عمل على بلبلة الأفكار وتصيُّد الشبهات وشنِّ الحملات- العديد من الشبهات حول نَسْخ بعض الأحكام من باب التشكيك، وكانوا يقولون: "ألا ترون أن محمَّدًا يأمر أصحابه بأمرٍ ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولًا ويرجع عنه غدًا"(٢).

وكانت حادثة نَسْخ القِبلة أول وأعظم الأحكام التي أثار حولها اليهود الشبهات(٣)، ومن الأساليب التي استخدمها الكفار في التشكيك وإثارة الشبهات، إثارة الأسئلة التشكيكية التعجيزية، كسؤالهم عن الروح، وذي القرنين، والساعة، وأصحاب الكهف، يقول الله ﷻ في هذا: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾(٤)، ويقول الحق سبحانه: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ﴾(٥)، ويقول ﷻ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾(٦) .

.

وعلى الرغم من هزيمة المشكِّكين أمام تحدِّي القرآن الكريم ظلُّوا متمسِّكين بكفرهم وعنادهم وطالبوا الرسول بالمعجزات الحِسِّيَّة بقصد إحراج الرسول ﷺ من جهةٍ، وإخفاء هزيمتهم من جهةٍ أخرى.

ولقد تكرَّر التحدِّي بطلب الآيات من جانب الجاحدين نحو خمس

(١) سورة الإسراء: ٤٩.
(٢) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل، (٨٧/١).
(٣) عبد الرحمن هوساوي، منهج القرآن الكريم في تثبيت الرسول ﷺ، (٨٧/١).
(٤) سورة الإسراء: ٨٥.
(٥) سورة الكهف: ٨٣.
(٦) سورة الأعراف: ١٨٧.

وعشرين مرة صريحة عدا التحدِّي الضمني[1]، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾[2]، وكقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾[3]، يقول ابن كثير -رحمه الله-: "يقولون: هَلَّا أُنزلَ إليه مَلَكٌ من عندِ الله فيكونَ شاهدًا على صدقِ ما يدَّعيه[4].

أنواع الشبهات [5]:

النوع الأول: شبهات عارضة، وهذه خاصة، يعني: تحدث لشخص بسبب ما عنده من أفكار ومن خيالات وأحيانًا تصل إلى حدِّ الوساوس وغيرها. هذه فتن وشُبَه خاصة يتعرَّض لها بعض الأفراد، بعض أفراد المسلمين تكون عنده أوهام وشكوك، شبهات في القدر، أحيانًا في مقام الألوهية -نسأل الله السلامة- غالبًا هذا وسواس قهري، وأحيانًا في بعض مسائل الدين في بعض أحكام الشرع، في علل التشريع. لكن بقدر قوة إيمان الشخص تزول بإذن الله، أو تكون مرضًا خاصًّا به عندما يصل الأمر إلى حدِّ الوسوسة، فإذا كانت مرضًا فهي لا تضرُّ بإيمان الإنسان، بل ربما يُؤجَر على مكابدة هذا المرض، لا يهمُّنا هذا الشيء الفردي، فالأوهام والخطرات التي تكون للأفراد ليست هي الفتنة العامة، وإنما هي فتنة قد تضرُّ بالشخص نفسه، فما دام لم يَدْعُ إليها فهو داخلٌ في النوع الأول: وهي الشبهات الفردية.

---

(١) عبد الرحمن هوساوي، منهج القرآن في تثبيت الرسول ﷺ، ص٢١٩.

(٢) سورة الأنعام: ٣٤.

(٣) سورة الفرقان: ٧.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣/٣١١).

(٥) ناصر بن عبد الكريم العلي العقل، دروس الشيخ ناصر العقل، (٤/ ٥).

النـوع الثـاني: الشـبهات التـي تـؤثر فـي أصـول الاعتقـاد، وتصـبح مذاهب يدعو إليها أصحابها، سواء كانت مستورَدة أو مخترَعة من قِبل أشخاص أنفسهم، سواء كانت بسبب أوهام ووساوس لكن يدعو إليها صاحبها، أو كانت مقنَّنة بفكر وثقافة معيَّنة. كل ذلك يُعتبر من الشبهات غير العارضة، بل من الشبهات الدائمة التي تبقى ويكون لها ضحايا من أبناء المسلمين.

النـوع الثالـث: الشـبهات التـي تصـرف القلـوب والعقـول عـن الهـدى والحق صرفًا كاملًا أو جزئيًّا.

النـوع الرابـع: الشبهات العامة التي تؤدي إلى فُرقة بين المسلمين، والفُرقة أنواع: فُرقة غير ظاهرة، وفُرقة ظاهرة، سواء كانت فُرقة عن عموم الأمَّة، أو عن عموم أهل السُّنَّة والجماعة، أو فُرقة عن منهج العلماء ومنهج أهل الحق والعقد، سواء كانت فُرقة في الدين، أو فُرقة فيما يتعلق بمصالح الأمَّة العظمى.

والفُرقة في الدين كالبدع والمحدثات وغيرها، والفُرقة في المصالح العظمى كالخروج على العلماء والخروج على الولاة، وعن مقتضى السمع والطاعة.

والخروج عمَّا أوصى به النبيُّ ﷺ من ضرورة الجماعة والسمع والطاعة بالمعروف لولاة الأمر، وضرورة اجتماع الكلمة وحفظ الحقوق المعتبَرة بين الأمَّة لأفرادها ومجموعاتها.

والخروج الذي يؤدي إلى الإخلال بمصالح الأمَّة العظمى، مثل: الإخلال بالأمن، أو الإخلال بقوة الجماعة وتماسكها، أو سلوك مسالك الإنكار التي تؤدي إلى فساد أعظم. وهذه كلها غالبًا تحدث من فئات متدينة، بل لا أعرف أن هذه الشبهات تحدث إلا من متدينين؛ لأن غير المتدين يسلك مسالك لا تكون على شكل رايات دينية، إلا بعض أصحاب المصالح الشخصية الذين يغرِّرون بالغوغاء باسم الدين، كما حدث في فتنة

ابن الأشعث وغيرها، يغرِّرون بالمتدينين باسم الدين، وتجد هؤلاء الرءوس لا يهمُّهم إلا السلطان أو الانتقام من الخصوم.

أو مصالح معيَّنة شخصية أو أمنية، لكن تجدهم يستغلُّون عواطف الناس ثم يتبيَّن الحق، كما حدث من ابن سبأ فمن يتتبَّع سيرته يجد أنه أظهر الغيرة والحرقة على دين الأمَّة وعلى مصالحها، فاستثار طائفةً من جُهَّال شباب المسلمين في ذلك الوقت حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، فاستمالهم إلى مذهبه، ثم تبيَّن أنه يهودي كائد خبيث، يُعتبر بمثابة رأس الاستخبارات اليهودية في ذلك الوقت –على حسب المصطلحات المستعملة اليوم–.

ثالثًا: الشبهات المعاصرة

وفي مسيرة الإسلام عبر القرون التقى بعددٍ من المذاهب والدعوات التي حاولت أن تنحرف به عن قيمه ومبادئه، فبعد فشل الحروب الصليبية في ديار الإسلام سلك الأعداء من اليهود والنصارى وغيرهم طرقًا أخرى لا يحملون فيها السيف ولا يفجِّرون فيها بارودًا(١)؛ لأنهم وجدوا أن الأسلوب العسكري المسلَّح لا يزيد المسلمين إلا منعةً وعودةً إلى دينهم، وما ينتج عن ذلك من إشعال حميَّة الجهاد في نفوسهم(٢).

وهذا ما كانوا يخشونه أشدَّ الخشية، فسلكوا مسلك الغزو الفكري والتشكيك العقدي والتغريب، بعدما جمعوا الافتراءات والشكوك والشبهات التي بثَّتها الباطنية والمجوسية والفلسفات الوثنية ودعوات التحلُّل، والانحراف والزندقة والإباحية، التي عُرفت في عصور ما قبل الإسلام وبعده، وجعلوها تحت مسمَّيات برَّاقة، وجنَّدوا لها قوى متعددة كالتنصير والاستشراق والشعوبية وكثير من الصحف والدعاة والأسماء اللامعة، حيث أدخلوا في فكر العالم الإسلامي أفكارًا جديدة منحرفة، كالقومية العربية كبديل للوحدة الإسلامية، بزعم أن الدين لا يصلح كأساس لوحدة العرب لوجود أقليَّات غير مسلمة داخل كثير من الدول العربية، بخلاف العروبة التي هي الراية التي ينضوي الجميع تحت لوائها(٣).

قال القس (سيمون) إن التبشير يُعَدُّ عاملًا مهمًّا في كسر شوكة الوحدة الإسلامية ويجب أن تُحوَّل بالتبشير مجاري التفكير في هذه الوحدة حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل في المسلمين(٤).

---

(١) أحمد بن سعيد الغامدي، عقيدة ختم النبوة المحمدية، ص٢٨٠.

(٢) صابر طعيمة، أخطاء الغزو الفكري على العالم الإسلامي، ص٢٢.

(٣) ياسر أبو شبانة، النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي، ص٣٠٣.

(٤) سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص٥١.

بالإضافة إلى ذلك، زاد الخصوم من انقسام الأمَّة من خلال افتعال طوائف وتنظيمات مثيرة للانقسام ونسبتها إلى الإسلام في محاولة للقضاء على معتقدات الدين الأساسية ومُثُله العليا من خلال عدد قليل من المنافقين، ومن هذه الفرق: القاديانية(١)، والبابية(٢)، والبهائية(٣)، والحزب الجمهوري في السودان. وهذه الجماعات التي كان هدفها تقويض الشريعة الإسلامية والعقيدة الإسلامية، وإثارة الشك في نفوس المسلمين، ومساعدة العدو على نشر فكره الباطل، فقد تبنَّت هذه الجماعات العديد من عقائد اليهود والنصارى والماركسيين(٤)، واستُخدمت هذه الجماعات كمدارس تبشيرية جديدة داخل العالم الإسلامي(٥).

إن العلمانية -وهي الاتجاه الذي تبنَّاه الفكر الغربي ودعا إليه- هي من أسوأ ما أصاب الإسلام وأثَّر في إطاره العقائدي والفكري(٦)، ويُنظر إلى هذا على أنه طريقة جديدة لمعارضة الإسلام لأنه يحتوي على فكرة خطيرة: محاولة إبعاد الدين عن الحياة العامة واستبدال الشريعة الإسلامية بالقوانين الغربية. كما أنها تحتوي على شكل آخر من أشكال الخداع يُعرف بالعلمانية، وهو مصطلح يُستخدم في الفكر الغربي للدلالة على استقامة الطريق وصواب الدعوة، فمَن يتبعها يعيش حياةً تعتمد عناصرها على فهم قوي للعالم، ولكن عندما قالوا للناس هذا أو ذاك ووضعوا الدين وغير المرئي على الجانب الآخر من العلمانية، أصبحت نواياهم الحقيقية واضحة(٧).

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، (٤١٦/١).

(٢) أحمد سعد الغامدي، عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية، ص٢٠٢.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، (٤٠٩/١).

(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، (٩٥٨/٢).

(٥) سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص٢٥٨.

(٦) صابر طعيمة، أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي، ص٢٠٧.

(٧) سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص١٦٢.

ومع ظهور مفهوم النظام العالمي الجديد على الساحة الدولية على نطاق واسع بعد اندلاع الأزمة الخليجية الثانية، جاء العدو أيضًا بأفكار جديدة وأساليب مبتكرة لتحقيق هدفه المتمثِّل في الهيمنة على العالم في ثقافته ودينه وفكره والقيم والمبادئ في العصر الحديث(١).

وأيًّا كانت التسمية أو الكلمة التي تطلق على هذا المفهوم، الذي له جوانب متعددة، بما في ذلك السياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية، فإن المهم هو النوايا والأهوال التي تكمن وراءه(٢)، وكان توحيد الدول الكبرى لمحاربة الإسلام بشكل خاص وتغريب العالم بشكل عام -فضلًا عن تطبيق المعايير المزدوجة في الشؤون الدولية- من أبرز سمات وعناصر العولمة. إن كراهية النظام للإسلام والمسلمين، فضلاً عن استخدامه للمعايير المزدوجة، تظهر بوضوح عند دراسة مواقفه بشأن اهتمامات المسلمين في جميع أنحاء العالم أعلى درجات الحزم والحزم في التعامل مع المسلمين، والميل إلى العفو واللين في التعامل مع الآخرين. لقد بذل التحالف الصهيوني الصليبي قصارى جهده لعزل السودان دوليًّا في القارة الأفريقية، كما حاولوا تدمير اقتصاد السودان وتقسيم البلاد إلى شمال وجنوب من أجل إنشاء دولة صليبية في الجنوب(٣).

ومن أشهر الشبهات المُثارة حول الإسلام زَعْمُ أن السُّنَّة النبوية الشريفة تخالف القرآن الكريم، فقد ذهب أحد زعماء تلك الشبهة إلى أن هنالك خلطًا بين القرآن والسُّنَّة، يقول: ويلاحظ على دراسات الكتاب الكريم والسُّنَّة النبوية المطهَّرة في إطارها التقليدي الخلط بينهما، والجدل على موضع كل منهما، وعلاقتهما فيما بينهما، حتى لا يكاد يوجد إدراك

---

(١) عبد الله فهد اللحيدان، المسلمون والنظام العالمي الجديد، ص٩.

(٢) عبد سعيد إسماعيل، العولمة أرقام وحقائق، دار الأندلس الخضراء، جدة ص٣٤-٤٦.

(٣) ياسر أبو شبانة، النظام الدولي الجديد، ص٧٥٧.

موضوعي واضح حاسم لدور متميز لكل منهما ولعطائه الخاص، وبذلك سطرت على دراستهما المعاصرة مفهوم التقليد التاريخي وفكرة النَّسْخ(١).

وهذا كلام إنشائي يعوزه الحجة والبرهان، فلا أحد من المسلمين ينكر أن القرآن مقدَّم على السُّنَّة، وأن السُّنَّة تلي القرآن في الأهمية. بيد أن أحد الكتَّاب نسب ذلك إلى الشافعي، فقال: واستمر ردُّ الحديث أو التوقف فيه عند تعارضه مع القواعد القرآنية، إلى أن قام الإمام الشافعي بتأسيس الحديث كمصدر مستقل بذاته، لا كمصدر تابع للكتاب، ففي كتابه الهام "الرسالة" جعل الشافعي السُّنَّة مصدرًا تشريعيًّا مستقلًّا، وذلك بإعطائها خاصية ثالثة، إضافةً إلى الخاصيتين اللتين أجمع عليهما علماء السلف قبله، متابعة أحكام الكتاب وتبيين محملها. الخاصية الثالثة التي أثبتها الشافعي: هي إنشاء حكم لم ينصَّ عليه الكتاب، أو بتعبير الشافعي: ما مِن رسولِ الله فيما ليس فيه نصُّ كتاب. دلَّ الشافعي على خاصية إنشاء الأحكام التي تتمتع بها السُّنَّة، بالإشارة إلى الأحاديث التي تأمر برجم الثَّيِّب الزاني ... ليكرِّس -بذلك- استقلال الحديث، ويرفع مرتبته إلى مرتبة القرآن الكريم(٢).

ومن العجيب أن يدَّعي البعض بأن الإيمان بالقدر ورد بالسُّنَّة دون القرآن، فجاء قول أحدهم: "وتُحدَّد مقوِّمات الإيمان كما تعرضها نصوص الكتاب في خمسٍ: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتضيف نصوص الحديث مقوِّمًا سادسًا إلى مقوِّمات الإيمان، فتشترط الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى، كما ورد في حديث جبريل إذ سأل رسول الله عن الإيمان فأجاب: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم

(١) د. عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص٧٧.

(٢) د. لؤي صافي، العقيدة والسياسة، ص٤١.

الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"(١) (٢).

وهذا مخالف للحقيقة، فقد ورد الإيمان بالقدر في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾(٣).

بالإضافة إلى الشبهة الأشهر والتي لطالما حاول أعداء الإسلام جعلها الثغرة التي يدخلون منها لمحاربته والنيل منه، ألا وهي شبهة انتقاص الإسلام من قدر المرأة، فقد أورد أحدهم الحديث التالي: «لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجها»(٤)، والرجل ليس بحاجة إلى أن يخدمه أحد في الجنة ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾(٥)، ففي هذه الحالة الرجل ليس بحاجة إلى المرأة، فأرسلها إلى النار معتمدًا على الحديث: "أُرِيتُ النارَ فلم أرَ منظرًا كاليومِ قَطُّ أفظعُ، وأُرِيتُ أكثرَ أهلِها من النساءِ"(٦). هذان الحديثان يناقضان كل ما أُوحي إلى محمد ﷺ في الكتاب شكلًا ومضمونًا، وقد شرحت –في مفهوم الأزواج في الجنة– مفهوم الحور العين، وقد قلنا إن آيات الجنة والنار هي من الآيات المتشابهات(٧).

وهذا اتهام باطل وشبهة زائفة لأهل العلم بوضع الحديثين، فنجد أن الحديث الأول يُحمل فيه بيان لفضل وأهمية الزوج الذي يتحمَّل أعباء الأسرة، وهناك العديد من الأحاديث التي عبَّرت عن الفضل والأهمية الكبيرة

---

(١) د. لؤي صافي، العقيدة والسياسة، ص٥٣/٥٢.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله –سبحانه– (١/ ٣٦)، رقم: (٨).

(٣) سورة القمر: ٤٩.

(٤) أخرجه الترمذي، أبواب الرضاع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة (٣/ ٤٥٧)، رقم: (١١٥٩).

(٥) سورة الحاقة: ٢٣.

(٦) صحيح البخاري، كتاب النكاح باب كفران العشير (حديث رقم: ٥١٩٧)

(٧) د. محمد شحرور، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص٥٩٦.

للمرأة أيضًا، ويكفي في هذه الناحية ما روي بأن الجنة تحت أقدام الأمهات، كما أن الأم مقدَّمة على الأب في البِرِّ، وأن خير ما يحصل عليه المرء هو المرأة الصالحة.

وأما عن الحديث الثاني، والذي ذكر فيه أن أكثر أهل النار النساء، فمن المعروف أن ما يتجاوز نسبة ٥٠% بقليل يُعَدُّ أكثر من الآخر، فهل يجب أن يتساوى عدد الداخلين إلى النار من الجنسين؟ أم هل يجب أن يكون الرجال في النار أكثر من النساء؟ إن الأمر لا يعدو قضية غيبية، ومن هنا فلا يجب أن يتمَّ التعامل مع قضايا الغيب بهذه السذاجة من التفسيرات.

ومن أين للكاتب ادعاؤه بأن الحور العين ستقوم بخدمة الرجال في الجنة فلا تكون هناك حاجة للرجال بنساء الدنيا؟! إن المرأة في الجنة، أو الحور العين لا تعمل ولا تخدم فهنالك غلمان مخلَّدون يقومون بوظيفة الخدمة، أي: الخدمة في الجنة على عاتق الذكور وليس الإناث، وقد ثبت في الآثار النبوية أن المرأة التي تدخل الجنة تكون أكرم وأجمل من الحور العين؛ فلا يحق للكاتب -ومن على رأيه ممن ادَّعوا بمثل هذه الشبهة- أن يعملوا على ابتزاز النساء بهذا الأسلوب، بهدف إثارة سخطهنَّ على دينهنَّ، وتنفير النساء على غير الإسلام من اعتناق الإسلام بهذه الطريقة، فيساهموا بالفعل في جعل النساء أكثر أهل النار.

ومن الجدير بالذكر والتنبيه أيضًا في هذا الأمر أن المعروف أن نسبة النساء في العالم -بشكلٍ عام- أكثر من الرجال، ويمكن أن يكون الفارق بينهما قليلًا كما في بعض البلاد العربية، أو كثيرًا كما في جنوب شرق آسيا. فإذا كانت نسبة النساء أكثر فإن هذا يقتضي أن يكون عدد من يدخلن النار أكثر من عدد الرجال. هذا لو افترضنا أن النسبة متساوية فيمن يدخل النار من الجنسين، والله أعلى وأعلم.

رابعاً: خطورة الشبهات على العقيدة

ولم يمرَّ قرنٌ ونصفُ قرنٍ على ظهور الإسلام حتى أقام المسلمون دولة عظيمة، فانتصروا على أمم المشرق والمغرب، وفارس والروم، ومصر والشام، وكان ذلك مصدر مفاجأة وإحباط للأعداء عندما تولَّت الأمَّة الإسلامية زمام المبادرة في جميع مجالات الحياة -سلمية كانت أم عسكرية- وعندما أصبحت حضارتها هي الحضارة العالمية المهيمنة، والتي استورد منها العالم أجمع ثقافته وحضارته، وعوامل نهضتها. وفي سنة ٣٦هـ وصلوا إلى تركستان الغربية وحتى حدود الصين، كما شكَّلوا تهديدًا للقسطنطينية في الشرق وفرنسا في الغرب، وبالتالي محاصرة العالم المسيحي في قبضتهم(١).

فإن النبيَّ ﷺ -وهو الناصح الأمين- قد حذَّر من الفتن بجميع أنواعها، فتن الشهوات، وفتن الشبهات، لكنَّا لو استعرضنا نصوص الكتاب والسُّنَّة ونهج السلف الصالح لوجدنا أن فتن الشبهات -الفتن في الدين والعقيدة- هي الأخطر وهي الأنكى والأشد، وهي التي جاء النهي عنها أكثر من غيرها بإجمال. أما فتن الشهوات فقد جاء النهي عن مفرداتها: النهي عن أكل الربا، والنهي عن الزنا، والنهي عن الانغماس في الدنيا والافتتان بها، جاءت نصوص متواترة وكثيرة في النهي عن فتن الشهوات، لكن ما جاء في نصوص الكتاب والسُّنَّة عن فتن الشبهات جاء على سبيل التحذير من مناهج الشبهات وأهلها؛ لأنها تخلُّ بالعقيدة؛ ولأنها مرض يصرف القلوب والعقول عن العقيدة وعن الحق، وأصحابها هم الذين وصفهم الله -عزَّ وجلَّ- بالأخسرين أعمالًا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾(٢)، فأعظم أخطار فتن

---

(١) سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الغرب، ص٤.

(٢) سورة الكهف: ١٠٤.

الشبهات -التي هي مطاعن في العقيدة والدين- أن أصحابها يظنُّون أنهم على هدى؛ ولذلك قال السلف: إن صاحب البدعة لا يتوب أو لا تُقبل له توبة.

هم لا يقصدون أنه لو تاب لا يتوب الله عليه، فإن الله يتوب على من تاب من أيِّ ذنبٍ ولو كان الشرك، لكنهم يقصدون بذلك أن صاحب البدعة وصاحب الضلالة لا يُوفَّق للتوبة؛ لأنه يظنُّ أنه على هدى، فهل يُتوقَّع ممن يظنُّ أنه على هدى أن يحرص على التوبة؟ بالعكس، المسلم الذي يُبتلى بالشهوة يعرف أنه وقع في ذنب، هذا هو الغالب، بل عامة المسلمين الذين يقعون في فتن الشهوات سواء كانت فتن الدنيا، أو فتن المعاصي، أو فتن الفسق والفجور، فإن أصحابها غالبًا يعرفون أنهم ارتكبوا الموبقات؛ ولذلك تجد الذين يتوبون من هذا الصنف هم الأكثر، لكن صاحب الشبهة مريض القلب والعقل يظنُّ أنه على هدى؛ فلا يسعى إلى التوبة إلا مَن بصَّره الله عزَّ وجلَّ.

وجاء في النصوص الإشارة إلى أن عواقب فتن الشبهات ليست على أصحابها فقط، بل تعمُّ الأمَّة؛ ولذلك فالفتن في العقائد ابتُلي بها غالبُ الأمَّة بعد القرون الثلاثة الفاضلة، وبقيت فتنُ البدع والشركيات جراحًا غائرةً في جسد الأمَّة إلى يومنا هذا، وليعلمْ كل عاقل أن أعظم سبب لما تعانيه الأمَّة المسلمة اليوم من الذل والهوان والشتات هو الافتراق في الدين، الذي هو فتنُ الشبهات، والذي هو الخروج عن السُّنَّة والجماعة، وقد ذكر الله ﷻ أن هذا سبب الفشل وذهاب الريح، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ (١) فالأمَّة الآن تعيش أقسى ما مرَّت عليه في تاريخها من مظاهر الفشل وذهاب الريح، والخذلان، وقلة البركة، والتناحر والتناطح؛ لأنها وقعت فيها الفُرقة في الدين.

(١) سورة الأنفال: ٤٦.

وإنَّ الفُرقة في الدين -مع أنها أمرٌ قدَّره الله على جميع الأمم وعلى هذه الأمَّة- إلا أنه -مع ذلك- نهى الله عنه ويسَّر العلاج والوقاية منه، وأعني بذلك: الإشارة إلى شبهة كثير من الجاهلين وأصحاب العلمنة وما يُسمَّون بالليبراليين وغيرهم، الذين يزعمون أننا نبالغ عندما نقول: إن الأمَّة افترقت، وأن الذين أوقعوا الأمَّة في هذا الحرج هم الذين خرجوا عن السُّنَّة والجماعة، وهم الذين استباحوا دماء أهل الحق والخير في كل البلاد التي فيها فتنٌ وقلاقل، فيقولون: أنتم بهذا تفرِّقون. نقول: نحن نحكي عن الواقع، ونريد للأمَّة أن ترجع إلى أسباب عزِّها بالاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، يقول تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾(١)، إذًا: أعظمُ سببٍ للذل والهوان الذي أصاب الأمَّة، وتسلُّط الكفار من اليهود والنصارى، وتسلُّط أهل الأهواء والبدع الذين ينتسبون للإسلام -وهم ربما يكونون في بعض البلاد أشدَّ نكايةً بالأمَّة من الكفار أنفسهم- هو الفُرقة في الدين، وأن الأمَّة لن تخرج من وهدة الذل والهوان والشتات والتقاتل إلا بالرجوع إلى مصدر العزة وهو الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، والالتفاف تحت لواء السُّنَّة والجماعة كما أوصى النبيُّ ﷺ، وإلا فالفُرقة واقعةٌ من سُننِ الله، ووقوعُها ليس حُجَّةً في أن نرضى بها، بل وقوعها يستلزم منَّا أن نعالجها، وأن نحذِّر مَن بقي من بعض فصائل الأمَّة التي لا تزال على الفطرة، وأن نُناصح الذين افترقوا، ونُبيِّن لهم وجه الحق، ونقيم عليهم الحجة، ونعيدهم إلى سواء السبيل(٢).

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) دروس الشيخ ناصر العقل، مرجع سابق (٢ / ٥).

خامسًا: أسباب وعوامل بروز آثار الشبهات المعاصرة على العقيدة الإسلامية

ليس في المذاهب الفكرية الضالة ما يغري العقلاء باعتناقها، إلا أنه كما يقال: "لكل بضاعة سوق ولكل صائح صدى". وقبل أن نبدأ بذكر الأسباب لا بد أن يعلم القارئ أن المذاهب الفكرية مَنشؤها وموطنها المضياف هو الغرب النصراني الذي تهيَّأ له ما لم يتهيَّأ لغيره من الدول من أسباب الاندفاع إلى الثورات العارمة على كل الأوضاع والمعتقدات نتيجةَ أحوالٍ تعيسةٍ أفرزتها أسبابٌ مجتمعة أدت إلى ظهور مذاهب فكرية عديدة كما يظهر الطفح الجلدي على المريض. ومن تلك الأسباب ما هو ظاهر ومنه ما هو خفيّ.

أما الأسباب الخفيَّة:

فقد تعود إلى أمور سياسية في أكثرها، من حبِّ السيطرة والتوسُّع وانتشار مواضع النفوذ، وكذلك الرغبة في الانفلات من كلِّ القيود التي كانت قائمة في ظلِّ حكم رجال الدين النصراني، ثم ملء الفراغ الذي أحسَّ به الأوروبيون بعد إقصاء الدين ورجاله، والرغبة في إشغال الناس بأيٍّ جديدٍ في المعتقدات وخلط الأمور، وربما توجد أسباب أخرى هي أهم من هذه الأمور تحتاج إلى بحث وتدقيق ووقت بعد التأكيد على أن أبرزها كان بسبب الرغبة في الانفلات من قبضة رجال الدين النصراني وخرافاتهم، وكذلك سوء الأحوال في الحياة الأوروبية المتمثِّلة في الحالة الاجتماعية والثقافية والدينية التي كان يعيشها الأوروبيون في عهود سيطرة رجال الكنيسة من عداوات وتنافر، ومن انتشار الجهل والخرافات الجاهلية ومن بُعْدٍ عن الدين الصحيح، وكذلك اختلاط المفاهيم الفكرية الدينية النصرانية – الخرافيَّة أساسًا– وإظهارها بالمظهر الديني؛ مما كان له الأثر البالغ في تشجيع أصحاب الآراء الثائرة على الدين النصراني على اختراع الآراء المضادة له وإلصاقها بالدين في البداية والتي نشأت في أشكال مذاهب

ونظريات مختلفة –بعد ذلك– مقتديةً بانحراف الديانة النصرانية من الأساس وقيامها على يد بولس اليهودي الوثني، الذي أقام النصرانية على مفاهيم بشرية وقوانين وضعية مملوءة بالتناقضات والخرافات التي كانت محلَّ ازدراء أصحاب العقول الناضجة وتبرُّمهم منها –سواء كانوا في الغرب أو في الشرق– بعد أن فقد النصارى إنجيل عيسى عليه السلام بعد رفعه إلى السماء. على أنه لم يكن ظهور الخرافات وحده هو الذي أزعج الأوروبيين، بل كان لزوال طغيان رجال الكنيسة الحافز القوي لظهور مختلف الأفكار والمذاهب بعد الإطاحة بطغاة الكنيسة وتخلُّص الناس من قبضتهم الفولاذية، فإن كل شيء له ردُّ فعل، فإن الأوروبيين أصبحوا في مرحلة جديدة ماسَّة إلى كل الآراء لسدِّ الفراغ ببديلٍ عن الدين النصراني، وتحقَّق بعد ذلك ما يقال من أن "لكل صائح صدى" فإنه بعد انفلات الناس عن قبضة الكنيسة وتحوُّلهم إلى ماردٍ جبَّار ما كان أحدٌ يُظهر رأيًا إلا وجد من يستمع له ويأخذ به في البناء الجديد للحياة الأوروبية وأن يكون فيه إسهام في زيادة الابتعاد عن قبضة رجال الكنيسة. وقد انضاف إلى تلك الأسباب أيضًا ما قام به رجال الكنيسة قبل الإطاحة بهم من الوقوف بحزم وكبرياء أمام كل المفكرين من علماء الغرب والحكم عليهم بأنهم هراطقة يجب قتلهم لرِدَّتهم –كما يرى الجامدون رجال الكنيسة–، فأيُّ عالمٍ كان يُظهر رأيًا جديدًا في أيِّ شيءٍ في هذا الكون يخالف عقلية رجال الدين كان يُعتبر قوله كفرًا ورِدَّةً، فقامت المذابح لكل من كان يتصف بأنه حرٌّ أو مفكِّرٌ، وقُتل الآلاف لأتفه الأسباب، إلى أن تغلَّب الثائرون ومرَّغوا أنوف رجال الدين النصراني الخرافي في الوحل، وقامت على أنقاضه مفاهيم ومذاهب شتَّى(١).

---

(١) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، ص ٥.

أما الأسباب الظاهرة[١]:

١ـ جهل هؤلاء بدينهم وما يحويه من مفاخر وما يحويه من شمولية كاملة حيث شهد الله تعالى له بهذا في كتابه الكريم بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [٢] فمَن ردَّ هذه الشهادة فلا شكَّ في جهله وكفره وخروجه عن ربقة الإسلام وجماعة المسلمين. وأنت تعلم أن هذا الجهل من هؤلاء يعود إلى أسباب كثيرة، إما لتفريطهم وإهمالهم، وإما لتربيتهم، وإما لاختلاطهم، وإما لغير ذلك من الأسباب الكثيرة.

٢ـ جهلهم بحقيقة ما تحمله تلك المذاهب الضالة من بؤس وشقاء، وأنهم تأثروا بها دون معرفة لحقيقتها المخزية وما تحمله من دمار أخلاقي واقتصادي واجتماعي وديني وكل شيء يمتُّ إلى الطريق الحق والصراط المستقيم؛ فأصبح حالهم تنطبق عليه هذه المقالة "حُبُّكَ الشيءَ يُعمي ويصمُّ"، ولا يمنع أن هؤلاء عملاء مأجورون أيضًا، فما أكثر أولئك الذين باعوا دينهم وضمائرهم.

٣ – من الأسباب أيضًا رغبة هؤلاء في الانفلات والتحلُّل من كل القيم والأخلاق والعادات الحسنة والفضائل، ورغبتهم في العيش على الطريقة الغربية، يعيشون كما تعيش البهائم، ويأكلون كما تأكل الأنعام، دون أن يقف في طريقهم أيُّ مانع شرعي أو عرفي.

٤ـ نشاط أعداء الإسلام وقوة عزمهم على إفساد عقائد المسلمين وإخراجهم من دينهم بأنواع الدعايات والمغريات.

٥ـ بذلُ المساعدات المالية وتحبيبُ الحياة الغربية إلى قلوب المسلمين وتنفيرُهم من حياتهم الإسلامية وبثُّ الدعايات ضد الإسلام وحكام

---

(١) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، مرجع سابق، ص٩.

(٢) سورة المائدة: ٣.

المسلمين وعلماء الإسلام قاطبةً، فقد صوَّروا لهم الإسلام أنه هو الواقف حَجَرَ عثرةٍ في طريق تقدُّم المسلمين ونهوضهم ووصولهم إلى صنع الطائرات والصواريخ و ... إلخ، وصوَّروا لهم علماء الإسلام أنهم متخلفون وجامدون، إلى غير ذلك من أنواع الدعايات الخبيثة التي سرت في عروق كثير من جهَّال المسلمين.

٦. تأخُّر بعض بلدان المسلمين في مناهجهم التعليمية، حيث أُقصيت كلُّ الدراسات –إلا القليل– التي تُبصِّر المسلم بما يُبيِّته له الغرب على أيدي عملائه من المنصِّرين والمستشرقين ومَن وافقهم ممن يدَّعي العروبة أو الإسلام.

٧. الضعف النفسي الذي أصاب المسلمين وانبهارهم ببريق الحضارة الغربية ورغبة المغلوب في تقليد الغالب ومحاكاته لجبرِ ما يحسُّ به من ضعف الشخصية أمامه.

٨. الضغوط الشديدة التي يتعرَّض لها ضَعَفَةُ المسلمين باستمرار في أكثر من بلد إسلامي، وإملاء الكفار لأفكارهم على تلك الشعوب لتقبلها راغبةً أو راهبةً، وغير ذلك من الأسباب الكثيرة التي تضافرت لتهزَّ من كان في قلبه مرض هزًّا عنيفًا. ولكننا على يقين أن الحق سيبقى وأتباعه سيبقون إلى نهاية هذا الكون بإخبار الصادق المصدوق ﷺ بذلك.

٩–الراحة والدعة، وتعلُّقهم بالدنيا وشهواتها، وتفرُّقهم إلى فرقٍ ودولٍ متصارعة.

- انتشار الأُمِّيَّة بين المسلمين في جميع أممهم ومناطقهم، فضلًا عن افتقارهم إلى المعرفة في القرون الأخيرة بعد ذروة العلم الذي كان المسلمون فيه ذروة البشرية.
- وجود مجموعة من الذين باعوا دينهم وأُمَّتهم لأعدائهم بثمنٍ بخس، من أجل الحصول على حطامٍ من الدنيا.

- وجود طوائف غير مسلمة تزايد نفوذها بين جماهير الأمَّة الإسلامية، كما تزايد دعمها -سرًّا وعلنًا- من القوى الاستعمارية، ومن أشهر اللبنانيين الذين عملوا كمساعدين لهؤلاء المبشِّرين: فارس الشدياق، وناصيف اليازجي، وبطرس البستاني. وهؤلاء الثلاثة حصلوا على تعاليمهم من المبشِّرين الشرقيين الذين عملوا في بعض الدول العربية. ومن أمثلة هؤلاء المبشِّرين: "فانديك" الذي أشرف على الإرساليات المسيحية في لبنان، والقس "زويمر" الذي أشرف على تلك الإرساليات في البحرين حيث يعيش، ومِن هناك تَوَاصَلَ مع كافة الإرساليات في العالم العربي، ووجَّهها بما يتماشى مع الخطة التبشيرية العالمية(١).

لا شك أن الأعداء قد أحرزوا تقدُّمًا كبيرًا نحو عددٍ من أهدافهم، وكان من أكبر آثاره على المجتمع المسلم تقويض العقيدة الإسلامية والاستخفاف بها؛ إذ عرفوا أن الإيمان هو شريان حياة الأمَّة الإسلامية ووظائفها تشبه عمل الروح للجسد.

لقد عرفوا أن إخلاص المسلمين الدائم لعقيدتهم واعتمادها كأسلوب حياتهم هو المفتاح الحقيقي لسلسلة انتصاراتهم، التي سمحت لهم ببناء حضارة ناجحة وأسلوب حياة محترم ورغيد. وبحسب المؤرخ فيشر: أعطى الدين للحركة العربية قوة فطرية أبقتها على قيد الحياة، ولولا هذه القوة التي جاءت من ترابطهم المشترك لَمَا كان للعرب الوحدة اللازمة لتحقيق النصر.

لم يكن المشرقيون والمصريون والفرس والبربر ليوافقوا على هيمنتهم لولا الروحانية التي سادت العرب والتي تجاوزت التعطش البسيط للحرب والنهب. علاوةً على ذلك: ليس هناك شك في أن ولادة دين جديد في وسط العالم العربي ساهم بشكل كبير في فتوحاتهم وانتصاراتهم العسكرية(٢).

---

(١) أحمد سعد الدين، التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية، ص٣٦ -٣٧.

(٢) سعد الدين صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص٢٥.

ولذلك أدرك المثقفون والسياسيون الغربيون أن أفضل وسيلة لتقويض قوة هذه البلاد هي عزلها عن معتقداتها ووقف عملياتها، وجعلها مشوَّشَةً عقليًّا وسهلةَ الانقيادِ ومشلولةً. وكلُّ ذلك من شأنه أن يجعلها متخلِّفةً عقليًّا؛ لتفقد وحدتها وقوتها في نهاية المطاف. ولذلك أرادوا التشكيك في هذا المفهوم وتداعياته، وكذلك زرع المخاوف بشأنه. مبادئ وأحكام، فوضعوا ما أرادوا في دوائر وموسوعات معرفية أنيقة، أصبحت الآن بين أيدي باحثين يستخدمونها ولا يبالون بمدى خطورتها.

سادسًا: أثر الشبهات الفكرية المعاصرة على العقيدة الإسلامية

ويتضح -مما سبق- أن الدين الإسلامي تعرَّض للخطر الشديد وتأثَّر كثيرًا بهذه الاتهامات، ومن جملة هذه الآثار وتلك الأخطار ما يلي:

أولاً: إن هدف "التغريب" الذي يسعى إلى إنتاج طبقة من المسلمين المتعلمين الموالين للغرب والدعوة إلى قبول قيمه ومعتقداته وحضارته، هو تغريب البلاد من حيث الإيمان والقيم[1]، ويأتي ذلك عندما تم تحريف الإسلام وإعراضه وانقطاعه عن حضارته وقيمه ومفاهيمه. وباستخدام هذه الأداة، تمكَّنت النخبة المثقفة في الغرب من تربية جيل من الأطفال المسلمين في الدول الإسلامية الذين يشتركون مع الغرب في نفس المعتقدات وطرق التفكير والشكوك، ومنحتهم لقبًا عربيًّا إسلاميًّا، ولكنه يحمل في رأسه عقلًا رأسماليًّا أو ماركسيًّا أو ليبراليًّا. هؤلاء هم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، كما وصفهم المصطفى ﷺ بقوله: "دعاةٌ على أبواب جهنَّم من أجابهم إليها قذفوه فيها"، فلمَّا قيل له: يا رسول الله صِفْهم لنا قال: "هم مِن جِلدتنا ويتكلمون بألسنتنا"[2].

ومن أجل تحريف عقيدة المسلمين؛ كان التغريب في الواقع أداةً جديدة وفعَّالة للانتهاكات الفكرية. لقد كانت قادرةً على زرع الشك وتعزيز عدم الثقة بين السكان المسلمين.

لقد أنهى المرتبطون بالأمَّة الإسلامية مهمة إبعاد البلاد عن معتقداتها. لقد فعلوا ذلك من خلال الدفاع المستمر عن مفاهيم كانت غريبة على البلاد، بما في ذلك: العولمة، والرأسمالية، والديمقراطية، والماركسية،

---

(١) محمد بن مهنأ آل علي، أصالة الإسلام في مواجهة التحدي الفكري، ص٢٠٨.

(٢) متفق عليه: البخاري (٧٠٨٤)، كتاب الفتن، باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ومسلم (١٨٤٧)، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر.

والماسونية، والعلمانية، والليبرالية، وغيرها من الأفكار التي –وفقًا لادعاءاتهم– من شأنها إصلاح الناس ومنعهم من التخلف. إن هذه المفاهيم التي قُدِّمت في أُطُرٍ علميَّة ذكيَّة وغير أمينة، واحتوت على شكوكٍ وسمومٍ ، ساهمت بشكل كبير في عمق انفصال المسلمين عن المعنى الحقيقي لعقيدتهم. وهكذا، أصبح الإسلام –في نظر بعض معتنقيه– بيئة يُحشد فيها الغالبية العظمى من الناس وفق عقيدة متميزة لا لبس فيها.

ومن أعظم آثار الشبهة تدميرًا هو تفكيك العقيدة الإسلامية، وذلك بتفكيك الوحدة الإسلامية التي طالب بها الدين ورعاها. وقد أدَّت هذه الوحدة إلى نشوء قوة المسلمين ووحدتهم ونهضتهم، وسِجِلِّهم في أروع الحضارات وتقديم أعظم الأفكار في تاريخ البشرية.

فقد هدفوا إلى أن تضعف ثقة المسلمين بأصول الوحي، وهذا من نتائج الشبهات التي تُمزِّق الدين الإسلامي. وقد لعب المستشرقون هذا الدور تحت ستار الأهداف العلمية من خلال التشكيك في صحة القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، ويقولون إن القرآن كتبه النبيُّ ﷺ، واستعان في هذا التأليف ببعض مُعلِّميه من اليهود والنصارى، ويختلفون في أن القرآن نزل من عند الله على النبي ﷺ[(١)]، وكان شكهم في رسالة النبي ﷺ وفي أصلها الإلهي وإنكار عالميَّتها هو الأساس لهذا الشك.

ومن نتائج الشبهات: تفكيك العقيدة الإسلامية من خلال الدعوة إلى وحدة الأديان؛ مما يعني أن الأديان المختلفة مقبولة وأن نزاهتها وصلاحيتها وتعدُّد الآلهة التي تطالب بها كلها مقبولة. ويعني أيضًا أن الدعوة موجَّهة ضد الوثنية والخرافة، وأن الإسلام ليس المصدر الوحيد للتشريع أو خاتم الأديان وناسخها. إن انتقاد وحدة الأديان لا يعني الانتقاص من الدراسات

---

(١) عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، ص١٩٩.

الدينية المقارنة، التي تُقدِّم خلفية كل دين ودرجة تطوره أو تأثره خلال مساره التاريخي الطويل(١).

ومن نتائج الشكوك حول العقيدة الإسلامية: استبدال الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية القادمة من الغرب، جاء ذلك بعد أن أعرب المثقفون الغربيون -الذين كانوا روادًا في هذا المجال- عن شكوكهم بشأن الشريعة الإسلامية، زاعمين أنها قاسية وغير قابلة للتغيير ولا تؤدي إلا إلى استهداف المجرم. رأيٌ سلبيٌّ، ومخاوف أخرى بأنهم قدَّموا أساسًا منطقيًّا لفرض القواعد والأنظمة بدلًا من الشريعة الإسلامية ونشرها من خلال أتباعهم في الدول الإسلامية(٢).

ومن نتائجها أيضًا: هذه الاتهامات أن لدى الشعوب الأوروبية تصوُّرًا مشوَّهًا عن الإسلام وأتباعه، حيث تعتبرهم مخيفين وأشرارًا. ويرجع ذلك إلى حقيقة أنه في أعقاب الحروب الصليبية، جلب الجنود المسيحيون معهم تصوُّرًا نموذجيًّا للمسلمين وكيف ينبغي معاملتهم، فضلًا عن تقدير تسامح الإسلام وفلسفته وقيمه الأساسية، وكان رجال الكنيسة يخشون أن يصل الإسلام إليهم وينتشر بينهم.

ومن أجل إبعاد الإسلام عن أوروبا ومنعه من التسلل إليها؛ وصفوا المبشِّرين بأنهم يلعبون دور تشويه الصورة التي لدى شعوب أوروبا عن الإسلام والمسلمين، ورسموا صورة سلبية عن حياة المسلمين وأحوالهم، قائلين أن المسلمين متخلفون، يحملون أفكارًا وثنية، ويستمتعون بالملذات الحسية، ومدمني مخدرات، ومفتونون بالنساء.

وبحسب "كارادي فو" فقد اعترف بعضهم بوجود هذا المفهوم الخاطئ: "لقد ظلَّ محمد لفترة طويلة غير معروف في الغرب"، ولم يربطوه بالخرافة

(١) أحمد شلبي، مقارنة الأديان، ص٣٢.

(٢) محمد نبيل غنايم، شبهات حول التشريع الإسلامي، أضواء الشريعة، (٤/ ٣١٠).

أو الوقاحة، وكما نرى في شوارع أوروبا اليوم، فإننا ندفع العواقب القاسية للدور الذي لعبه رواد الغزو الفكري –القديم والحديث على حدٍّ سواء. والأميركيون لا يرون هذه الصورة المروِّعة إلا لأنهم يجهلون حقيقة الإسلام وسماحته. ويتجلَّى هذا الدور الخبيث في التشويه الحالي لشخصية النبي على يد أعداء الإسلام(١).

وكذلك من نتائج عدم الثقة تجاه العقيدة الإسلامية: ظهور الجماعات المتطرفة التي تدَّعي أنها إسلامية، وقد تم تأسيس هذه الجماعات عمدًا من قِبل خصوم أرادوا القضاء على الإسلام من الداخل باستخدام عدد قليل من المنافقين للتظاهر بأنهم مسلمون مع إخفاء كفرهم. إن بعض الفرق الدينية الضارة والمنحرفة، مثل البهائيين والدروز والقاديانيين والحبشيين وغيرهم، لها أثر كبير في توليد سوء الفهم والتشكيك في العقيدة الإسلامية، كما أنها تصرف انتباه المسلمين عن مشاكلهم الملحَّة إلى مشاكل غير مهمة. لن يؤدي إلى النجاح أو المجد.

هذه بعض النتائج والآثار المرتبطة بالعقيدة الإسلامية نتيجةَ ما أُبْدِيَ من شكٍّ وشبهاتٍ وشكوكٍ بشأنها(٢).



(١) سعد الدين صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص٢٦٠.

(٢) سعد الدين صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص٢٦٠.

سابعًا: أساليب ووسائل التعامل مع الشبهات

إن موضوع الشبهات من المواضيع الخطيرة على الدين الإسلامي ويحتاج لجهود كبيرة ووسائل وقائية لحماية المسلمين ودرء هذا الخطر عنهم، فقد كان السلف الصالحون يخافون على أنفسهم منها؛ وذلك لخطورتها على النفس المسلمة، فكيف إذا تعرَّض لها الفرد المسلم الضعيف الذي يمتلك قدرًا محدودًا من العلم الشرعي؛ لذلك لا بد من التقيُّد بالأساليب والوسائل الوقائية لعدم التأثر بالشبهات التي يبثُّها أعداء الإسلام ويحاولون تشويه هذا الدين.

ومن الأساليب والوسائل الوقائية في التعامل مع الشبهات ما يلي:

دعاء الله تعالى بالهداية وسؤاله الثبات على الإيمان:

إن النفوس متقلِّبة ومتغيِّرة وسريعة التأثر بواقعها المعاش؛ لذلك يُعَدُّ طلبُ الهداية من الله والثبات من أعظم المطالب وأجلِّها. وقد ضرب النبيُّ ﷺ أروع الأمثلة في طلب الهداية والثبات على الدين الإسلامي، وذلك في قوله ﷺ: «يا مقلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبي على دِينِكَ»[1].

تعزيز سبل اليقين بثوابت وأصول الدين الإسلامي:

ويكون هذا التعزيز بالوقوف على حقيقة الإسلام، والتعرُّف على البراهين التي تؤكد صحة هذا الدين ومصادره.

---

(١) الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، برقم ٢١٤٠، وأحمد، ١٩/ ١٦٠، برقم ١٢١٠٧، ومصنَّف بن أبي شيبة، ١١/ ٣٦، برقم ٣١٠٤٤، وشعب الإيمان للبيهقي، ٢/ ٢٠٩، ومسند أبي يعلى، ٦/ ٣٥٩، والمختارة للضياء المقدسي، ٢/ ٤٥٨، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢١٤٠.

وتطرَّق الدكتور أحمد السيد إلى وسائل تعزيز اليقين، ومن أبرزها:

نشر عبادة التفكُّر والتدبُّر وإعمال العقل في آيات الله تعالى الكونية (١):

إذ تُعَدُّ عبادة التفكر والتأمل من العبادات العظيمة التي حثَّ عليها القرآن الكريم، موضِّحًا العلاقة بينها وبين إدراك وفهم الحقائق الكبرى؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ (٢).

فالتأمل والتفكر في خلق الله تعالى من صفات المؤمنين والأولياء الصالحين التي يستدلُّون من خلالها على نفي العبثية في خلق الله تعالى للسماوات والأرض.

فالتفكر في آيات الله تعالى العظيمة والبراهين الدالة على كمال خلق الله تعالى وقدرته، من العبادات التي تزيد من الإيمان وتُرسِّخه في النفوس والقلوب، كما أن التفكر في آفاق السماوات وفي الأنفس من العبادات التي تؤكد على صحة كلام الله تعالى وتزيد اليقين في نفوس المؤمنين.

يقول الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾(٣)

نشر عبادة التفكر والتأمل في آيات الله الشرعية:

وهي الوسيلة الثانية من وسائل تعزيز اليقين، من خلال وصف القرآن للناس وتشويقهم للإقبال عليه ومحاولة فهم آياته وتدبُّرها، بحيث يتعرَّف الناس على خالقهم، كما يتعرَّفون أيضًا على الغاية من خلقِهم، وتبصيرهم

(١) أحمد يوسف السيد، سابغات: الوقاية الفكرية من شبهات الملحدين ومنكري السنة، ص٥.

(٢) سورة آل عمران: ١٩١.

(٣) سورة فصلت: ٥٣.

بالبعث والنشور والحساب والجزاء، فالقرآن الكريم وأدلته القطعية يُزيل الشك ويُعزِّز اليقين ويُثبِّت الإيمان في نفوس المؤمنين(١).

أما الوسيلة الثالثة من وسائل تعزيز اليقين فهي الاهتمام بالكتب المؤلَّفة لغاية تأكيد صحة أصول الإسلام، وهذه الكتب متنوعة وفيها القديم والحديث، ومن الأمثلة عليها: الرسائل التي أُلِّفت في إعجاز القرآن الكريم ومنها: بيان إعجاز القرآن لمحمد الخطَّابي، والنكت في النكت في اعجاز القرآن لعلي الررماني، والرسالة الشافية في الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني. أما المؤلَّفات المعاصرة في دلائل صحة القرآن فمنها: كتاب "النبأ العظيم" لمحمد دراز(٢).

أيضًا تكثيفُ جهود الدعاة في الحديث عن إثبات وجود الله تعالى ووحدانيَّته وصفاته، فالقرآن الكريم تناول -في الكثير من الآيات- صفات الله ﷻ وأفعاله وأحكامه، حتى أن أول الآيات التي نزلت على الرسول ﷺ تحدَّثت عن أفعال الله تعالى وهي خلق المخلوقات؛ ومن ثم: الحديث عن صفاته، يقول الله تعالى مخاطبًا الرسول ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ (٣) .

إن تركيز الدعاة -في خطابهم ودعوتهم للناس- على صفات الله تعالى ووحدانيَّته وألوهيَّته وأفعاله وأحكامه، هو من الوسائل التي تساهم بشكل أساسي في تثبيت الإيمان في نفوس المسلمين وغرس اليقين بأصول الإسلام في قلوبهم وعقولهم.

العناية بالعبادات القلبية التي تقوِّي الصلة بالله تعالى وتمنح القلب الطمأنينة والسكينة والأمن، فالنبيُّ إبراهيم عليه السلام عندما جادله قومه في

---

(١) أحمد السيد، سابغات، ص ٥٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٩.

(٣) سورة العلق: ١-٣.

عبادته لله تعالى وتوحيده له اتَّسم ردُّه بقوة اليقين النابعة من القلب؛ إذ يقول لقومه: ﴿ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾ (١)(٢).

فقد حاول قوم إبراهيم عليه السلام نشر الأقوال والشبهات الباطلة حول الدين الذي جاء به النبي إبراهيم، وحَاجَّهم إبراهيمُ عليه السلام وجادلهم بقوة إيمانه ويقينه بالله تعالى، فلم يستطع أحدٌ من قومه زعزعة إيمانه الثابت والراسخ في قلبه.

لذلك يُعَدُّ الاهتمام بالعبادات القلبية من أعظم الأساليب والوسائل الوقائية من الشبهات، فتربية القلب على الإيمان، والتعلُّق بالله تعالى وحده، وخشيته والتوكل عليه والإنابة إليه؛ تحمي العبدَ من الانسياق وراء الشبهات وتصديقها.

كما تُعَدُّ قصص اعتناق العديد من الأشخاص للإسلام من الوسائل التي تُعزِّز اليقين بأصول الإسلام، لا سِيَّما عندما نرى أن هؤلاء الأشخاص دخلوا الإسلام من شتَّى البلدان القريبة والبعيدة، ودخولهم جاء عن قناعة وتسليم وشعور عميق بالرضا عن النفس، على الرغم من حملات التشويه العديدة المنظَّمة ضد الإسلام والمسلمين(٣)؛ فهذا يترك آثارًا إيجابية في النفس، ويغرس الإيمان في القلوب، ويثبِّتها على الدين الحق.

التسلُّح بالعلوم الشرعية وسيلة وقائية تحد من خطر الشبهات:

إن التأمل في آيات القرآن الكريم وتدبُّر معانيه، وامتلاك المعرفة الكاملة بالسُّنَّة النبوية الشريفة، ودراسة مسائل العقيدة والفقه والحديث، والوقوف على منهج السلف في التلقِّي والاستدلال، وضبط منهجهم في الفهم

---

(١) سورة الأنعام: ٨٠.

(٢) أحمد السيد، سابغات، ص ٦٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٢.

والتفسير، والتعرُّف على مواقفهم من مصادر المعرفة[1]؛ إذ يُعَدُّ الجهل بمقاصد الدين وأحكامه من أسباب شيوع الشبهات وانتشارها في جميع المجالات ؛ لذلك لا بد من التزوُّد بالعلوم الشرعية لضمان عدم الوقوع في فخ الشبهات.

إعمال العقل الناقد:

ميَّز الله تعالى الإنسان بالعقل، وجعله مناط التكليف، ودعت الكثير من الآيات القرآنية إلى التدبر وإمعان النظر و التفكر؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾ [2].

فمهمة العقل الكبرى هي النظر في الأدلة والاجتهاد، يقول الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [3] .

فالعقل المسلم هو العقل الذي يمحِّص الأفكار، ولا يستسلم للأفكار والآراء الفاسدة دون المناقشة، ولا يتعامل مع المغالطات المنطقية، فالعقل المسلم الناقد هو العقل الذي يستطيع التمييز بين الأفكار الصحيحة والسقيمة، ويكشف زيفها ويناقش مع تمسُّكه بالأدلة والبراهين؛ لذلك يُعَدُّ إعمال العقل الناقد الفاحص أحد الوسائل في مواجهة الشبهات والرد عليها.

فقد تركت الشبهات أثرًا وتأثيرًا في فئة من الشباب المسلم، وذلك بسبب عدم إعمال العقل الناقد والفكر الفاحص، فالعقل المسلم الناقد بحاجة إلى غرس الأفكار الصحيحة، والقدرة على التمييز بين الأفكار المقبولة

(١) ندى بنت حمزة خياط، منهجية التعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد الأول، العدد السادس والثلاثين، د.ت، ص ٢٦٦ .

(٢) سورة الجاثية: ١٣.

(٣) سورة ص: ٢٩.

والمردودة؛ لصيانة العقول وإحكام العقلية المسلمة من الوقوع في الشبهات المثارة من قِبل أعداء الإسلام.[١].

وقد ضرب علماء الحديث النبوي أروع الأمثلة في الفحص والتدقيق؛ وذلك بنقد رواة الحديث، فلم يكتفوا بما وصل إليهم من أحاديث، بل قارنوا بين الروايات، وقاموا بتضعيف الأحاديث المنقطعة، وكشفوا الأكاذيب والأحاديث المزعومة، فقد ساروا على منهج نقدي محدَّد يتسم بالأمانة والدقة على أحاديث وسنن النبي الكريم محمد ﷺ[٢].

تجنُّب الشبهات وعدم الخوض فيها:

إن البعد عن مواطن الشبهات هو ضمان لسلامة وصحة دين العبد المؤمن، وذلك في حال عدم وجود فائدة دينية يمكن تحقيقها من التعرُّض للشبهات، وذلك تأكيدًا لما كان يقوم به السلف الصالح؛ إذ كانوا يتجنَّبون الشبهات خوفًا على أنفسهم من هذه الشبهات، والتحذير من الوقوع فيها، وهو ما كان يدعو إليه الحسن رضي الله عنه قائلًا: «لا تُجالسوا أهل الأهواء، ولا تُجادلوهم ، ولا تسمعوا منهم»[٣].

ويُقصد بالابتعاد عن الشبهات: الفهمُ الصحيح لطبيعة الشبهات، ومدى الآثار التي تتركها على قلب العبد المؤمن، فلا يُقصد بها ضعفُ الحُجج والبراهين لديهم، أو نقص عقولهم، أو عدم قدرتهم على المواجهة، بل كان لديهم الردُّ القوي على هذه الشبهات، ولكن الخوف هو من مدى تأثير هذه الشبهات عليهم؛ لذلك يفضِّلون عدم الخوض فيها بسبب بريقها

(١) أحمد السيد، سابغات، ص ٦٣ .

(٢)أحمد السيد، سابغات، ص ٦٣- ٦٤

(٣)هبة الله بن حسن طبري اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، خرَّج آياته وأحاديثه: محمد عبد السلام شاهين، (١/ ٧٦).

وضعف التأثر بها[١].

وهذا يقتضي على المؤمن عدم الاغترار بما يمتلك من علم ومعرفة، في زمن التباهي بالعلم والحرية والانفتاح على الدراسات والمذاهب الفكرية البعيدة عن الدين، فجميعها من أسباب التأثر بالشبهات، والانجرار خلف زخرفها وبريقها، والسقوط في مستنقعها[٢].

ومن الوسائل الوقائية للشبهات عدم تعرُّض الأفراد غير المتخصصين لخطاب الشبهات[٣]:

ويُقصد بها دخول الفرد غير المتخصص إلى عالم الشبهات وقراءة كتبهم ومشاركة أفكارهم وآرائهم واستعراضها على مواقع التواصل الاجتماعي، وذلك بهدف التعرُّف على ثقافتهم أو دافع الفضول لدى بعض الأفراد، أو التسلية وتضييع الوقت؛ لأن دخوله قد يترك آثارًا سلبية عليه. أما دخول المتخصص في الرد على الشبهات على مواقع أصحاب الشبهات وقراءة أفكارهم وآرائهم، فهو يعرف الكثير من التفاصيل عن الشبهات[٤]، وهو يقدِّم خدمة جليلة للدين الإسلامي بقراءة الشبهات لكي يستطيع الرد عليها بالأدلة والبراهين وإفحام صاحب الشبهة وإقامة الحجة عليه.

أي أن الفرد غير المتخصص قد يُفتن بالشبهات ويتأثر بها ويميل إليها؛ لضعفه وقلة معرفته وعلمه، في حين يستطيع الفرد المتخصص الرد على الشبهات.

وتحدَّثنا سابقًا عن عدم تعرُّض السلف الصالح للشبهات خوفًا على أنفسهم من التأثر والافتتان بها لبريقها، لا لضعفهم أو لعدم قدرتهم على

(١) ندى بنت حمزة خياط، منهجية التعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة، ص٢٦٥ .

(٢) ندى بنت حمزة خياط، منهجية التعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة، ص٢٦٥ .

(٣) أحمد السيد، سابغات، ص٦٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٧.

الرد. لذلك: يجب على الفرد المسلم الابتعاد عنها وعدم الخوض فيها وقراءة ما يتم إشاعته من شبهات وذلك لضعفه وعدم امتلاكه للعلم والمعرفة الشرعية الكافية التي تمكِّنه من الرد وتضمن له عدم الميل لهذه الشبهات والأخذ بها.

تحديد مصادر التلقي والمعرفة:

من الوسائل الوقائية للشبهات: الوقوف على المصادر الشرعية، والوقوف على المصادر التي لا يمكن الشك فيها والتسليم لها، فهي: القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الشريفة، وإجماع العلماء على أمرٍ من الأمور الشرعية، ويدخل في المصادر الشرعية كلٌّ من العقل والنقل والعلاقة بينهما وأيُّهما يتقدَّم على الآخر. أما الحس فهو من مصادر المعرفة، بالإضافة إلى الخبر الصادق المتعلق بالإيمان بالأمور الغيبية[١].

أي أن المسلم إذا تناول موضوع الشبهات يجب عليه معرفة المصادر الشرعية التي لا تقبل الشك، والتمييز بينها وبين المصادر الشرعية التي قد تصيب أو تخطأ، ومنها أقوال الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى.

وفيما يتعلق بموضوع التسليم للنص الشرعي فهناك مؤلَّفات توضِّح على ماذا تستند المصادر الشرعية، ومن هذه المؤلَّفات: كتاب التسليم للنص الشرعي لفهد العجلان، وكتاب ينبوع الغواية الفكرية لعبد الله العجيري[٢].

ومن الوسائل الوقائية للشبهات: الرجوع إلى الكتب والمؤلَّفات التي أُلِّفت في الرد على الشبهات، وقراءتها قراءة وقائية، مع الالتزام بالشروط الآتية[٣]:

---

(١) أحمد السيد، سابغات، ص ٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٦-٦٧.

(٣) المرجع السابق، ص٦٨.

١. أن تكون الشبهة معاصرة وشائعة، أي أنها تقع في دائرة الخطر.
٢. أن تتسم هذه الكتب بالإجمال في عرض الشبهة والتفصيل في عرض الردود عليها، وليس العكس؛ لأن الفرد غير المتخصص بالشبهات لا يحتاج لكل هذه التفاصيل ؛ لذلك يُفضَّل اختيار الكتب المفصِّلة للردود على الشبهة.
٣. أن يتم اختيار الكتب التي تحتوي ردودًا محكمة بحيث يتم فيها إفحام ومحاجة المروِّجين للشبهات، ومن الأمثلة عليها كتاب: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي.

ومن الوسائل الوقائية للشبهات أيضًا ترتيب الفرد المسلم للأولويات الكبرى وفق مقصد الشارع ومراده.

فالترتيب يكون كالآتي:

- الإيمان بالله تعالى واتباع أوامره ونواهيه.
- التقدم العلمي والمادي.
- القيم الأخلاقية.
- الحرية الشخصية غير المقيَّدة بشيء.

إن عدم الالتزام بالترتيب السابق يؤدي إلى إحداث خلل وعدم توازن الفرد، ومثال ذلك: إذا وضع الفرد التقدم المادي في مقدمة الأولويات؛ فستكون نظرته مختلفة لغير المسلمين الذين حقَّقوا التقدم، وللمسلمين أنفسهم.

فعندما يعود الفرد إلى القرآن الكريم أولًا، ويفهم مراد الله تعالى من الآيات القرآنية؛ سيجد أن أقوام الأنبياء السابقين قد حقَّقوا تقدُّمًا ماديًّا لم يلتفت إليه القرآن الكريم ويصوِّره مقابل كفرهم بالله تعالى، فهو لا يُعَدُّ نجاحًا حقيقيًّا لجحودهم وكفرهم بالله تعالى، وهذا لا يعني أن الإسلام لا يهتم بالتقدم المادي المشتمل على الحضارة العلمية والتقدم الصناعي، بل هي من الأمور الهامة، لكن إذا كانت أولوية التقدم المادي تصرف الناس عن

الغايـة التـي خُلقـوا مـن أجلهـا وهـي عبـادة الله تعـالى وحـده فهـذا التقـدم مذموم(١).

في ضوء ما سبق يتوجب علينا اتباع الوسائل الوقائية للشبهات وعدم التعرُّض لها؛ لمحدودية علمنا ومعرفتنا الشرعية، لكن هذا لا يمنعنا من قراءة كتب الردود على الشبهات ومعرفة كيفية إقامة الحجة على الخصم بالأدلة والبراهين الشرعية، فالعداء الذي يكنُّه الغرب للإسلام يدفعهم إلى إثارة الشبهات وتوظيف أقصى الجهود للقضاء على هذا الدين، ونحن – بدورنا– يتوجب علينا التزوُّد بالعلم والمعرفة المتنوعة، لا سيما المعرفة الشرعية، بحيث يتم تفنيد شبهاتهم ودحضها بأسلوب علمي منهجي.

(١) أحمد السيد، سابغات، ص٦٩.

الخاتمة

لقد توصَّلت الدراسة إلى النتائج الآتية

١. منذ الأيام الأولى للإسلام، في زمن النبي، استخدم معارضو الإسلام سلاح الشك القديم. واكتشف الأعداء أثره في العصر الحديث، وانتهزوا الفرصة لتوظيفه، وبذلوا كل ما في وسعهم لفرضه على عامة المسلمين.

٢. لقد انخرط معارضو الإسلام منذ فترة طويلة في حملة ضخمة ومنسَّقة لتخريب الفلسفة الإسلامية، وخطَّطوا لتحقيق أهدافهم من خلال استخدام مجموعة واسعة من المفاهيم، بما في ذلك: المفاهيم السياسية والعسكرية والفكرية.

٣. إن إحياء ومساعدة الطوائف الإسلامية المتطرفة مثل القاديانيين والبهائيين والإسماعيليين وغيرهم ممن يسعون إلى استئصال الإسلام من الداخل يشكِّل إحدى الاستراتيجيات التي يستخدمها أعداء الإسلام.

٤. إن الأكاذيب التي يروِّجها خصوم الإسلام تهدف إلى تقويض التعاليم والثوابت الدينية، وفي الوقت نفسه تشويه الإسلام وجعل المسلمين يشكِّكون فيه.

كما توصي الدراسة بما يلي:

- زيادة التحصين الديني: حتى يكون المسلم واعيًا جدًّا بإيمانه ومعتقداته؛ مما يلهمه الاستسلام لله ﷻ ونيل الكرامة منه، وكذلك التوقف عن الاستعانة بالأعداء وطلب المساعدة منهم.
- الحرص على التعلم وزيادة الوعي الديني: وهو من أهم الاقتراحات لمعالجة الشبهات؛ لأنه ليس من الغريب أن يعرف المسلم نوايا العدو وخططه من خلال معرفته بما يملك. إن النص الأول الذي حثَّ المسلمين على طلب العلم والتعلُّم والتعليم حتى يتمكنوا من استخدامه لتبديد شكوك خصومهم هو القرآن الكريم. ويُعدِّل واقع بلاده.

- ضرورة العناية بالتربية الحسنة: وهذا يعني أننا يجب أن نبذل الكثير من الجهد لمساعدة المسلمين على أن يصبحوا أكثر ثقةً بأنفسهم، وأن يفخروا بالدين الذي يمارسونه، وأن يتعلموا كيف يصبحون مستقلِّين، ويعبِّرون عن أفكارهم، ويطالبون بحقوقهم، ويدافعون عنها.



قائمة المراجع والمصادر

القرآن الكريم.

١) **احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام**، صالح، سعد الدين السيد ط١، القاهرة: مكتبة التابعين، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢) **أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي**، طعيمة، صابر، **د.ط**، عالم الكتب، ١٩٨٤م.

٣) **أصالة الإسلام في مواجهة التحدي الفكري**، آل علي، محمد بن مهنأ، ط١، الرياض: دار المؤيد،١٤١٨هـ.

٤) **أصول الدعوة**، زيدان،عبدالكريم، ط٩، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

٥) **التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية**، سعد الدين، أحمد، د.ط، الأهرام: دار أبي المجد، ١٤٠٩هـ.

٦) **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

٧) **جامع البيان عن وجوه تأويل آي القرآن**، الطبري، ابن جرير، د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ.

٨) **الجامع الصحيح**، البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٧، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٩) **جوانب من الغزو الفكري المعاصر**، السماعيلي، محمد أمين الرباط، د.ط، ١٤١٧هـ.

١٠) **دلائل النبوة**، الأصبهاني، إسماعيل بن محمد، تحقيق: محمد الحداد، ط١، الرياض: دار طيبة، ١٤٠٩هـ.

١١) **ذيل تذكرة الحفاظ**، الشافعي، محمد بن علي، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

١٢) **السنن الكبرى**، البيهقي، أحمد بن الحسين، تحقيق: محمد عطا، مكة المكرمة: دار الباز، ١٤١٤هـ.

١٣) **شبهات حول التشريع الإسلامي**، غنايم، محمد نبيل، د.ط، ج٤، الرياض: أضواء الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود،١٤٠٣هـ.

١٤) **شبهات حول التشريع الإسلامي**، غنايم،محمد نبيل، الرياض: أضواء الشريعة،١٤٠٣هـ.

١٥) **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، اللالكائي، هبة الله بن حسن طبري، خرَّج آياته وأحاديثه: محمد عبد السلام شاهين، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

١٦) **العولمة أرقام وحقائق**، إسماعيل، عبد سعيد، ط١، جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٢هـ.

١٧) **قواعد وضوابط منهجية للردود العقدية**، أحمد قوشتي.

١٨) **الكشاف عن حقائق التنزيل**، الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود، د.ط، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

١٩) **كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة**، الميداني، عبد الرحمن حسن، ط٣، دمشق: دار القلم، ١٤١٩هـ.

٢٠) **لسان العرب**، ابن منظور، الأنصاري الرويفعى الإفريقي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، بن علي، محمد بن مكرم، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

٢١) **مختار الصحاح**، الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، المحقق: محمد،يوسف الشيخ، ط٥، بيروت: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٢) **المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام**، الصواف، محمد محمود، د.ط، القاهرة: دار الاعتصام، د.ت.

٢٣) **المستدرك على الصحيحين**، النيسابوري، محمد بن عبد الله، تحقيق: عطا، مصطفى عبدالقادر، ط١، دار الكتب العلمية،١٤١١هـ.
٢٤) **المسلمون والنظام العالمي الجديد**، اللحيدان، عبد الله فهد، د.ط، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢١هـ.
٢٥) **المفردات في غريب القرآن**، الأصبهاني، الحسين محمد بن المفضل، د.ط، دار الفكر، د.ت.
٢٦) **مقارنة الأديان**، شلبي، أحمد، ط٨، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٨م.
٢٧) **من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام**، فؤاد، عبد المنعم، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ.
٢٨) **منهج القرآن في تثبيت الرسول ﷺ**، هوساوي، عبد الرحمن، **د.ط**، الدمام: دار الذخائر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٢٩) منهجية التعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة، خياط، ندى بنت حمزة، **حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية**، المجلد١، العدد ٣٦، د.ت.
٣٠) **الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، ط٤، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.
٣١) **النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي**، أبو شبانة، ياسر، د.ط، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٩٩٨م.
٣٢) **الوقاية الفكرية من شبهات الملحدين ومنكري السنة**، السيد، أحمد يوسف، ط١، المدينة المنورة: سابغات: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٥م.

alquran alkarim.

1) aihdharuu al'asalib alhadithat fi muajahat al'iislami, salih, saed aldiyn alsayid ta1, alqahirat: maktabat altaabieina, 1419h/1998m.
2) 'ajnihat almakr althalathat wakhawafiha, almaydani, eabd alrahman hasan, ta8, dimashqa: dar alqalama, 1420h
3) 'akhtar alghazw alfikrii ealaa alealam al'iislami, taeimatun, sabir, du.ta, ealim alkutub, 1984m.
4) aleawlamat 'arqam wahaqayiqu, 'iismaeil, eabd saeid, ta1, jidat: dar al'andalus alkhadra', 1422h.
5) aljamie alsahiha, albukhariu, muhamad bin 'iismaeil, tahqiqa: mustafaa dib albugha, ta7,1414h/1993m.
6) aljawab alsahih liman badal din almasiha, eabd alhalim, taqi aldiyn 'ahmadu, tahqiqu: eabd aleaziz aleaskar, eali al'aejami, muhamad alhamdan,, ta1, alrayad: dar alfadilati, 1424hi.
7) alkashaf ean haqayiq altanzili, alzumakhshari, 'abu alqasim jar allah mahmud, du.ti, birut: dar almaerifati, da.t.
8) almawsueat almuyasirat fi al'adyan walmadhahib almueasiratu, alnadwat alealamiat lilshabab al'iislamii, 'iishraf watakhtit wamurajaeatu: du. manie bin hamaad aljahni, ta4, dar alnadwat alealamiat liltibaeat walnashr waltawziei, 1420hi.
9) almufradat fi gharayb alqurani, al'asbahani, alhusayn muhamad bin almufadala, da.t.
10) almukhatatat aliastiemariat limukafahat al'iislami, alsawafi, muhamad mahmud, du.ta, alqahirata: dar aliaetisami, da.t.
11) almuslimun walnizam alealamiu aljadidi, allihayadan, eabd allh fihd, du.ti, alrayadu1421h.
12) almustadrik ealaa alsahihayni, alnaysaburi, muhamad bin eabd allah, tahqiqu: eita,mustafaa eabd alqadir, ta1, dar alkutub aleilmiati,1411hi.

13) alnizam aldawliu aljadid bayn alwaqie alhalii waltasawur al'iislamii, 'abu shubanhi, yasir, du.ti, dar alsalam liltibaeat walnashr waltawzie waltarjamati, 1998m.
14) alsunan alkubraa, albayhaqi, 'ahmad bn alhusayni, tahqiqu: muhamad eataa, dar albazi, 1414hi.
15) altabshir wa'atharuh fi albilad alearabiat wal'iislamiati, saed aldiyn, 'ahmadu, du.ti, al'ahram: dar 'abu almujada, 1409hi.
16) alwiqayat alfikriat min shubuhat almulhidin wamunkiri alsunati, alsayidi, 'ahmad yusif, ta1, almadinat almunawarati: sabghat: maktabat almalik fahd alwataniati, 1437h- 2015m.
17) 'asalat al'iislam fi muajahat altahadiy alfikri, al ealay, muhamad bin muhanaain, ta1, alrayad: dar almuayidi,1418hi.
18) dalayil alnubuwwti, al'asbhani, 'iismaeil bin muhamad, tahqiqu: muhamad alhadaadi, ta1, alrayad: dar tiibti, 1409hi.
19) dhayl tadhkirat alhafazi, alshaafieii, muhamad bin eulay, du.ti, bayrut: dar alkutub aleilmiati, da.t.
20) jamie albayan ean wujuh tawil ay alqurani, altabri, abn jirir, du.ti, birut: dar alfikri, 1405hi.
21) jawanib min alghazw alfikrii almueasiri, alsamaeili, muhamad 'amin alribati, du.ti, 1417hi.
22) kawashif ziuf fi almadhahib alfikriat almueasirati, almaydani, eabd alrahman hasan, ta3, dimashqa: dar alqalama, 1419hi.
23) lisan alearabi, aibn manzurin, al'ansarii alruwyfeaa al'iifriqiu, 'abu alfadali, jamal aldiyn abn manzuri, bin ealaa, muhamad bin mukram, ta3, bayrut: dar sadir, 1414hi.
24) manhaj alquran fi tathbit alrasul salaa allah ealayh wasalama, husawi, eabd alrahmani, du.ta, aldamaami: dar aldhakhayir,1416hi/1995m.

25) manhajiat altaeamul mae alshubhat alfikriat almueasirati, khayaati, nadaa bint hamzata, hawliat kuliyat aldirasat al'iislamiat walearabiat lilbanat bial'iiskandariati,almujalada1, aleadad 36, da.t.
26) min aftira'at almustashriqin ealaa al'usul aleaqdiat fi al'iislami, fuad, eabd almuneam, ta1, alriyad: maktabat aleabikan, 1422hi.
27) mukhtar alsahahi, alraazi, zayn aldiyn 'abu eabd allah muhamad bin 'abi bakr bin eabd alqadir alhanafii, almuhaqaqa: muhamadu,yusif alshaykha, ta5, bayrut: almaktabat aleasriat - 1420h/1999m.
28) muqaranat al'adyan, shalabi, 'ahmad ta8, alqahirati: maktabat alnahdat almisriati, 1988m.
29) sharah 'usul aietiqad 'ahl alsunat waljamaeati, allaalkayiy, hibat allah bin hasan tabri, kharaj ayatih wa'ahadithihi: muhamad eabd alsalam shahin, du.ti, bayrut: dar alkutub aleilmiati, da.t.
30) shubuhat hawl altashrie al'iislami, ghnayim, muhamad nabil ,1403hi.
31) shubuhat hawl altashrie al'iislami, ghnayim, muhamad nbit, du.ti, ji4, alriyad: 'adwa' alsharieati, jamieat al'iimam muhamad bin saeud,1403hi.
32) tafsir alquran aleazimi, 'abu alfida' 'iismaeil bin eumar bin kathir alqurashiu albasariu thuma aldimashqiu abn kathir, tahqiqu: muhamad husayn shams aldiyn, ta1, bayrut: dar alkutub aleilmiati, 1419hi.
33) 'usul aldaewati, zidan, eabd alkirim, ta9, bayrut: muasasat alrisalati,1420hi.